في القصور السلطانية...

بقلم فضيلة العلامة المؤرخ مولاي عبد الرحمن بن زيدان
نقيب العائلة المالكة

للاستاذ مؤرخ الدولة الشريفة التي تعد كتبه المنشورة من مفاخر العصر مؤلف أسماه «الجواهر النفيسة الغالية في نظام الدولة العلوية العالية» لا زال لم ينشر وقد جمع فيه من انظم الدولة الشريفة بيتية وادارية وشرعية كل عجيب لم يغادر صغيرة ولا كبيرة فيه من كل ما يروج من الشئون والماجريات داخل القصر وخارجه ظعناً واقامة الا أحصاها وشرحها واستقصاها وتتبع بكل دقة سائر الحركات والسكنات وأتى على ذلك بشواهد مشاهدة بالعيان وحشر فيه جندا عرمرما من الظهائر السلطانية ومهم الوثائق التي لم تبق للمطالع ادنى تشكيك او ترديد وبه يتصور الباحث الاطوار التي تطورت اليها هذه الدولة الشريفه من لدن نشأتها الى اليوم ويعلم علم يقين حالتها الاقتصاديه والسياسية ووجوه مداخيلها وضبط ماليتها ونهضتها العلمية وقوتها الفكرية والحربية وما ضاهى ذلك ويصير المعاصر كانه السمير في تلك العصور الغابرة المباشر لكل ما يروج من جليل الامور والحقير، المحصي لنقيرها والقطمير، يسر الله ابراز ذلك الكنز العظيم لعموم الباحثين لينفق من ثروته الضافية كل على قدر استعداده الفكري وهذا المؤلف الفذ في بابه يجيء في مجلدين وهو بحق دائرة معارف كبرى لسائر شئون الدولة صانها الله وأعلى منارها وأبد بوجود الجلالة المحمدية فخارها.

قد كان لدولتنا العلية اهتمام زائد بتعليم البنات شريفات ومشروفات لأن النساء شقائق الرجال في الاحكام ولم تخل القصور الامامية في حين من الاحيان من استاذ من جلة خيار الاساتذة وأنزههم وأسنهم ممن لا ارب له في النساء ولا شغل له الا تعليم البنات القراءة والكتابة والضروري من علوم الدين الذي لا يسع المكلف جهله شرعاً ولا تخلو القصور من الكتاتيب المعدة لذلك ولا تكون الا داخل باب القصر تحت رعاية واشراف الطواشيين ولابد لكل شريفة تتعلم من مرافقة داية تراقبها داخل المكتب ولا يشاركهن في القراءة معهن بمكتبهن ذكر ولو كان أصغر منهن او شقيقاً لهن ياتي المؤدب وقت شروق الشمس ولا يبارح مكتب التعليم الا بعد اداء فريضة العصر مع المتعلمات ومعهن يكون فطوره وغداؤه يتناول كفايته من الطعام اولا ويرد الباقي عليهن أما عشاؤه فيذهب به لداره ولا تعطل القراءة الا في يوم الخميس وبعد زوال يوم الأربعاء وصبيحة يوم الجمعة الى الساعة الثانية بعد الزوال أما عطلة الاعياد ففي عيد الفطر تبتدي العطلة من عشري رمضان وتنتهي بانتهاء سابع شوال وفي عيد الاضحى تبتدي من فاتح ذي الحجة وتنتهي بانتهاء اليوم السابع عشر منه وفي عاشوراء من صبيحة اليوم العاشر الى غروب اليوم الثالث عشر وفي العيد النبوي من فاتح ربيع الاول الى تمام التاسع عشر منه والثلاثة الايام الاخيرة من شعبان ويسمون تلك الايام التي عطلت فيها القراة (العواشر) فاذا ختمت البنت القرآن الكريم ينعم على الفقيه بصلة وتقام حفلة ختم القرآن لمن ختمت ويرفع لوحها الذي تقرا فيه على منصة ويأتي جميع من بالقصور بالهدايا الثمينة يضعونها على ذلك اللوح نقوداً وثيابا رفيعة مخيطة وغير مخيطة ويقدم الجميع للاستاذ المقري ويخرج من القصر عددهم من قصع الكسكسون للمسجد المعد للصلاة برحاب باب القصر وقوارير ماء الزهر والورد وقماقيمه ومجامر الطيب ويستدعي الاستاذ المقرئ لتناول ذالك غيره من الاساتيذ المؤدبين فيحضرون ذالك الاحتفال ويوزع الطعام على السجون والزوايا واضرحة الصالحين فاذا بلغت البنت السنة السابعة من عمرها احتجبت ولم يبق لها سبيل للخروج للمكتب ولا رؤية المؤدب وتقبل على التعليم البيتي والتقاليد العائلية والتعليم البيتي كالطبخ والخياطة والطرز وتربية الاطفال وغير ذلك مما يلزم المرأة

تحضيره في بيتها ولم تكن توجد بنت شريفة اومشروفة ولو من وخش الرقيق ولدت بالقصور السلطانية او ادخلت اليهـا قبل السابعة من عمرها لا تحسن الكتابة والقراءة الا نادراً وربما وجد في نساء القصر من كان يقرأ برواية البصري كالدرة المكنونة السيدة حفصة بنت السلطان المنعم سيدنا الجد ابن هشام ولا زال ولدها الشريف الاديب ابو علي الحسن بن العربي حيـا يرزق وقد اخبرني ان اللوح الذي كانت تقرأ فيه رواية البصري لم يزل محتفظا به الى هذه الايام الاخيرة أما من يحفظ رواية ورش فكثير وقد كان في نساء القصور السلطانية من يقوم بتعليم غيرهن القراءة والكتابة ممن لهن رغبة في ذلك وفاتهن زمن التعلم عند الاستاذ الراتب ولم يزل العمل جاريا على تعليم البنـات وتخصيصهن بمكتب يقرأن فيه ومعلم يعلمهن الى مابعد عام سبعة وعشرين وثلاثمائة والف وآخر من كان يعلم البنات بقصر المدرسة من عاصمة مكناس الاستاذ الصالح ابو الفخر المختار الاجراوي والاستاذ ابو عبد الله محمد بن المهدي المنوني الشريف الحسني والاستاذ العربي بن صالح البخاري الحلموني وبقصر المحنشة شيخ جماعة المقرءين الاستاذ اليزيد العلمي وابو محمد عبد السلام النسب والاستاذ ابو العلاء إدريس بن محمد آل ابي زكرياء الصبان وبفاس الاستاذ ابو محمد التهامي الشريف العلمي وابو زيد عبد الرحمن بن الرضى العمراني اللجاءي وابو عبد الله محمد بن الطاهر الهواري والاستاذ ابو محمد التهامي الحساني والاستاذ ابو محمد التهامي بن عبد النور والاستاذ ابو عبد الله محمد بن الهاشمي اللجاءي والاستاذ حمادي بن عبد القادر النسب والاستاذ ابو محمد عبد السلام المدعو ابن يش التلمساني والاستاذ ابو العباس احمد السعيدي وقد صاهره السلطان ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن هشام فتزوج ابنته المصونة السيدة فاطمة الجليلة وكان سكناها بدويرة القطيب من القصر السلطاني بفاس وتوفي السلطان وهي في عصمته والاستاذ العلامة ابو العبـاس احمد عبابو وهو آخر من اقرا البنات بفـاس ، وبمراكش الاستاذ ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد الريفي والاستاذ العلامة الجليل ابو عبد الله محمد بن الفاطمي والاستاذ ابو عبد الله محمد بن الصديق الفلالي وقد اقرا اولا الشريف البركة المولى محمد نجل السلطـان ابي علي الحسن وخليفته بمراكش والاستاذ البركة ابو عبد الله محمد بن موسى وقد كان في ابتداء امره يقرئ ابناء السلطـان ابي زيد بن هشام الذين من جملتهم العلامة ابو الحسن علي صاحب البستان الشهير بحومة الكتبيين من عاصمة الجنوب مراكش الحمراء والاستاذ العلامة الجليل ابو اسحاق ابراهيم الضرير بن عبد المالك الذي كان السلطان ابو علي الحسن اصطفاه لتعليم حريمه امور دينهن ومما اقراهن رسالة ابن ابي زيد القيرواني وكان يجعل معهن درسين في اليوم وكان من الملازمين للحضرة السلطانية ظعناً واقامة وهو الذي تولى غسل السلطان المذكور وكانت وفاة ابي اسحاق هذا بعد صلاة ظهر الخميس خامس عشر شعبان عام ستة عشر وثلاثمائة والف وانزل بمضجعة الاخير من روضة الجزولي بمراكش فانظر الى نظر ملوكنا المقدسين في تعليم البنات ما كان ابعده واسماه واوفقه بالتربية الدينية التي لا تشوبها شائبة ولا تسلب موجباتها سالبة فعلى هذا النحو ينبغي ان ينحو المتدينون وعلى هذا المنهج ينبغي ان يسير المواطنون أما تعليم بناتنا تعليما غريباً غريباً من مبدئنا ودينا وقوميتنا وجنسنا ولغتنا فان فيه افساداً لاخلاقهن وقلبـا لهذا المجتمع راسا على عقب .

تطلب الصحافة منذ مدة إقصاء المتسولين عن المدن ، ونحن نطلب ان يصرف على الجياع ما يبذل لهاته الصحافة من مال ، فإن ذلك أحسن .